الدكتور أحمد قدرى

شاهد على عصر المعاناة

تاريخ التسجيل ١٩٨٧

obeikandl.com

★ **رأى :**

الوعى بالتاريخ = التحرر من أعباء التاريخ

★ **تســـاؤل :**

لماذا نقول مالا نفعل ؟

★ **حقيقـة :**

الجيش هو الضمير القومى للأمم .

★ **معلومة :**

«ماعت» : هى سر حضارة الفراعنة .

obeikandl.com

شاهد على العصر اليوم شاهد على تاريخ أعظم حضارات الدنيا ، وضعه اجتهاده وجهاده على قمة الهيئة التى تحيط بالمنظومة المصرية فى أروع آثارها . .

ولد سنة ١٩٣١ بالشرقية . . وحصل على بكالوريس العلوم العسكرية سنة ١٩٥٠ وبكالوريوس العلوم الجوية ، ثم حصل على ليسانس الحقوق ودبلوم الآثار المصرية ثم الآثار الإسلامية ثم الدكتوراه فى الآثار والتاريخ القديم . . كل هذا فى سنوات متقاربة ، عمل فى بداية حياته فى السلاح الجوى ، ثم نقل إلى وزارة الثقافة التى شغل بها أكثر من منصب ، كما أعير للتدريس فى قسم الآثار بجامعة بغداد ، إلى أن انتهى به المطاف رئيساً لهيئة الآثار المصرية ، له جهوده التى لاتنكر فى الإشراف على إنقاذ آثار النوبة ، وتجديد وترميم الآثار المصرية والإسلامية والحفاظ عليها .

لنا معه لقاء نرجو أن نستمع فيه إلى شهادة مميزة على عصرنا .

●●● رؤية عامة :

● أستاذ دكتور أحمد قدرى نبدأ برؤية عامة تسجل فيها بعض ما يعن لك من ملاحظات حول أهم التيارات والظواهر والتغيرات التى تعطى لعصرنا شخصيته بين العصور ؟

ـ نستطيع أن نقرر بشكل عام أن عصرنا يمثل مرحلة انتقال تاريخية بين سمتين واضحتين تماماً بالنسبة للمثقف المصرى العام والمتخصص فى التاريخ بشكل خاص ، مرحلة انتقال بين العصور اتسمت بالتخلف العام فى الظواهر الثقافية والظواهر الاجتماعية والظواهر التعليمية والاقتصادية منذ أكثر من مائة وثمانين عاماً فى نهاية العصر التركى ـ وكان بالتأكيد عصر اظلام وركود وتجمد حضارى ـ بدأت إيقاعات حياتنا تنطلق وتتدفق بعد تجربة حملة نابليون بكل ماقدَّمت من تحدٍّ لضمائر ووجدان شعبنا العريق القديم ، هذا التحدى الذى جعلنا فى مواجهة حادة مع التقدم العلمى والتقدم الحضارى العام فى الغرب ومع أنفسنا ومع ضمائرنا ، هذا التحدى أوجد فى وجداننا وفى عقولنا حركة استنارة واسعة النطاق امتدت عبر القرن الماضى وهذا القرن ، هذه الاستنارة ظواهرها نعلمها جميعاً منذ البعثة المصرية لمحمد على فى العشرينيات من القرن الماضى والجهود التعليمية والثقافية واسعة النطاق فى عصر إسماعيل والعصور التالية خاصة عصر الخديوى عباس حلمى الثانى ، بعد ذلك ، وبعد الثورة الاجتماعية التى حدثت فى خمسينيات هذا القرن، تدفقت وتظاهرت ظروف اجتماعية واقتصادية مجددة جعلت

صدامنا مع الحضارة الغربية ومع مقوماتها الثقافية والحضارية بشكل عام تمر بمرحلة انتقال أتصور أنها ربما تأخذ بعض الوقت حتى يتم الاستقرار بشكل نهائى على صيغة حضارية ، هذه الصيغة التى هى فى طريقها إلى التبلور ، وذلك بعد معاناة ثقافية وحضارية ، والتى تبدو واضحة فى مجتمعنا . وأتصور أن تبلور هذه الصيغة ، سيضعنا على أعتاب مرحلة جديدة نحن الآن نمر بها منذ بداية القرن الماضى .

●●● الوعى بالتاريخ = التحرر من أعباء التاريخ :

● يعنى الأستاذ دكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار المصرية أن بعض الظواهر التى يبدو فيها بعض الخلل أو عدم الاستقرار وناتج عن عملية الانتقال وعملية الاختيار الحضارى التى نعيشها هذه الأيام ، وأنه عندما تستقر رؤيتنا على هوية محددة ستنتهى مرحلة القلق من حياتنا ؟

ـ بالتأكيد فنحن نمر بمرحلة تتناقض فيها تيارات أيدلوجية وتيارات ثقافية مختلفة بين الماضى والجديد ، هذه التناقضات الثقافية والعقائدية ، تلك التراكمات التاريخية التى تدفقت إلينا عبر التاريخ ولم نفرزها بعد ولم نقيّمها التقييم الصحيح سواء بالتخلى عنها أو الإبقاء عليها ، التعرف على مقوماتنا الثقافية والفكرية والوجدانية بين كل هذه التراكمات الضخمة من عناصر التراث وعناصر حياتنا المعاصرة ، عملية الفرز الضخمة هذه والتى يقوم بها شعبنا والتى تظهر فى شكل معاناة جبارة ، معاناة يومية فى كل توجهات حياتنا اليومية الراهنة ، تلك المعاناة التى

لابد وأن تأتى فى النهاية إلى التعرف أكثر على ذاتنا وعلى هويتنا بشكل محدد، والوعى التاريخى هنا ـ فى تقديرى ـ يلعب الدور الأكثر أهمية والأكثر قدرة على فرز هذه العناصر وعلى تجديد واستقرار عناصر هويتنا وشعورنا بذاتنا فى المستقبل .

● على ذكر عبارة «الوعى التاريخى» أنا أتذكر عبارة للباحث المعروف الأستاذ محمد العزب موسى يقول :

« إن مصر هى دائماً الفصل الأول فى كتب التاريخ ومع ذلك فليس هناك شعب فى العالم يجهل تاريخه كالشعب المصرى» . فما تعليقك على هذه الملاحظة وما الذى نجهله عن مصر فى رأيك ؟

ـ أنا تعليقى أن التاريخ هو الذاكرة الجماعية للشعوب ، وعدم الوعى بالتاريخ يمثل خللاً خطيراً فى القوام الوجدانى والفكرى لأى شعب من الشعوب ، الأوهام التى تترسب فى وجدان شعب غير واع بتاريخه والأخطاء التى يتصورها أو المفاهيم الخاطئة التى يتصورها ، كل هذا يشكل عبئاً على ضميره وعلى وجدانه وفهمه الصحيح للأشياء، فمن خلال الوعى التاريخى يتصور مفهوم هذا الشعب وتنبعث حيوية جديدة فى أعطافه من خلال الفهم الصحيح للأشياء، ومن خلال الرؤى الصحيحة . . الرؤى الوجدانية الصحيحة لهذا التاريخ ، أما عدم الوعى فتنجم عنه المبالغة الشديدة فى تقييم قيمة تاريخه أو المبالغة الشديدة فى الانتقاص فى بعض مناطق هذا التاريخ ، وكلا الاتجاهين

خاطىء ، ويعكسان موقفاً غير متوازن ، الوعى التاريخى يضع الرؤية التاريخية ويضع قوام هذه الرؤية بشكل متوازن ويخلصنا من التناقضات التى جلبها لنا التاريخ ، مثل التناقضات العقائدية أو الثقافية لأن الوعى بهذه التناقضات يصفيها ويضعها على المستوى الصحيح لها ، فالوعى التاريخى قضية أساسية فى تقدير قضية ثقافية بالغة الخطر وهذا ماعبر عنه على باشا مبارك فى القرن الماضى عندما قال :

«إن ضعف الشعوب الإسلامية راجع إلى ضعف المعرفة التاريخية » .

وهذه رؤية للأسف بعد مائة عام مازلنا ـ من الناحية الثقافية ومن ناحية توجهنا التربوى ـ لانضعها فى اعتبارنا وهى قضية من أخطر قضايا حياتنا الثقافية المعاصرة ، فلا يمكن لأمة من الأمم أن تتجاوز تخلفها إلا بالوعى التاريخى أو حدٍّ أدنى من الوعى التاريخى . وهذا ماحدث فى أوروبا فى عصر النهضة ، وحدث فى اليابان فى القرن الماضى ، فعندما بدأت هذه الشعوب فى التعرف على جذورها ومحاولة فهم هذه الجذور وبالتالى فهم ذاتها وهـويتها وبلورة هـذه الهوية ، عندمـا بـدأت هذا التعرف واسع النطاق ، كانت قد بدأت فى الدخول فى مرحلة النهضة الحقيقية .

● **لكن بشرط ألا يتحول الماضى إلى عبء ، ونكتفى منه بالتغنى والتشدق . . . .**

ـ هذا صحيح وجوته يقول :

«إن الوعى بالتاريخ هو التحرر من التاريخ» .

وهذا كلام فى غاية الأهمية بمعنى التحرر من الأغلال ومن القيود التى تأخذ شكل تراكمات مازالت موجودة فى حياتنا وتشكل مفاهيم جامدة تؤثر علينا ، لكن فهمها الصحيح يجعلنا أكثر تحرراً وأكثر انطلاقاً وأكثر قدرة عن التعبير الحر عن أنفسنا .

● **إذن ماينقصنا هو التعرف على جذورنا وعلى جوهر الإنسان الذى يعيش على أرض هذا الوطن ؟**

ـ التوازن الذى يحققه الوعى يدفق الحياة الفكرية فى شكل رؤية حرة تماماً للأشياء والحياة الوجدانية فى شكل تصويب وتصحيح للقوام الوجدانى للإنسان أو لأمة من الأمم ، مما يجعل انطلاقها وسيرها على طريق التقدم قضية متدفقة لاتكبلها قيود قديمة أو رؤى متخلفة أو رؤى خاطئة أو فهم خاطىء للأشياء ، أى أن التحرر بشكل عام هو رد فعل أو نتيجة واسعة النطاق لقضية الوعى التاريخى ، ونحن عندما نتحدث عن الوعى التاريخى لانطلب من المواطنين العاديين التخصص فى التاريخ لكن نطالبهم بأن يكون لديهم فهم صحيح لحركة التاريخ بشكل عام . والآن تجد إدارات التراث الإنسانى فى اليونسكو ، الإدارات التربوية فى اليونسكو ، وقد أصبحوا مدركين تماماً لحقيقة واضحة للغاية وهى أنه لامجال لأى نجاح ، لأى تنمية اقتصادية مالم يواكبها تنمية ثقافية عامة للإنسان الذى يجرى التنمية الاقتصادية هذه ـ ولب التنمية

الثقافية ـ فى تقديرنا ـ هو الوعى التاريخى ، لأنه عندما تتبلور معالم واضحة لهويته وإحساسه بذاته ، تتدفق إرادته وحيويته نحو تحقيق البرامج الاقتصادية ، ويهتم برفع مستوى كرامته المادية والمعنوية ، فلا تنمية بدون رؤى ثقافية ولا تنمية بدون وعى تاريخى ، ولاتنمية بدون مواكبة بين عنصرى الثقافة والعنصر المادى .

●●● التراث قضية سياسية ثقافية :

● الأستاذ الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار أثيرت مؤخراً قضية الآثار المصرية سواء من عدوان الطبيعة أو البشر ، وكان لك تجربة سابقة فى إنقاذ آثار النوبة كما أن بصماتك تشهد لك فى القلعة والحسين وغيرهما فما هى أقوالك فى قضية الآثار ؟

ـ المواجهة الشاملة التى نقوم بها حالياً تجاه الحد الذى يمثله تراثنا الأثرى هى مواجهة لامحيص عنها ، مواجهة ضرورية ، هذه المواجهة تستمد مفاهيمها وتقديرها من رؤى تاريخية أيضاً ، فنحن عندما نستعرض تاريخ هذا التراث ، عندما نستعرض تاريخ إدارة الآثار التى أنشئت فى خمسينيات القرن الماضى فى عهد الخديوى سعيد باشا ، نجد أن الاهتمام الأول كان منصباً على القضايا العلمية البحتة ، أى على عمليات الدراسات الأثرية، وكان هذا وضعاً طبيعياً؛ لأن علم الآثار الوليد سواء علم الآثار المصرية أو الإسلامية ، كان يتطلب عملية تأصيل أو عملية إرساء للقواعد العلمية للفروع المختلفة لهذا العلم .

ومن هنا كان الاهتمام بالإنقاذ والترميم يأخذ الدرجة الثانية وربما الثالثة من الأهمية ، هذا إذا وضعنا فى اعتبارنا أيضاً أن القائمين على إدارة الآثار المصرية وإدارة التراث العربى كان معظمهم من الأجانب ، فالاهتمام الأصلى كان مركزاً على الناحية العلمية مع افتقاد للتوجه القومى العام بالنسبة لهذا التراث . . ، على ذلك آثار خطيرة ، فقد فقدنا ـ فى القاهرة وحدها ـ أكثر من ألف وخمسمائة أثر إسلامى فى الفترة من سنة ١٨٨٢ حتى ١٩٥٠ سنة . . وذلك بسبب نقص الإمكانات الترميمية ، وبسبب نقص الموارد المالية ، بالإضافة إلى عدم تبلور المفهوم القومى والإرادة والرؤى القومية لمواجهة هذا التحدى الجبار ، على سبيل المثال كان هناك هرم وهو هرم «جدرف رع» فى منطقة أبو رواش سنة ١٩٠٧ . . كانت مقوماته المعمارية موجودة إلى حد ما وكان مسجلا . والآن وبعد ثمانين عاماً لايوجد إلا القليل من بقاياه على سطح الأرض وهذا ينسحب على مقابر وعناصر أخرى كثيرة .

● **هل اختفى الهرم ؟**

ـ نعم كانوا يستخدمونه كمحجر Quarry أى كمنجم للأحجار نتيجة ضعف المواجهة مع الآخرين ، ضعف تطبيق قانون الآثار ، الإهمال ، السلبيات الموجودة فى مجتمعنا فيما يخص تطبيق القانون واحترامه ، وهذا الحكم ينسحب على معظم تراثنا ، من هنا فإن التراث قضية تتعرض لما تتعرض له كل مقومات حياتنا الأخرى من تطور فى

الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتى تؤثر على التطور العام لأمتنا .

● **تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد :**

« إن التراث ليس قضية فكرية فحسب بل هو قضية سياسية ، فالتراث هو القيمة ، ولهذا نجد الأمم المستحدثة تحاول أن تصطنع لها ماضياً » . . ما تعليقك ؟

ـ التراث قضية ثقافية سياسية وأنا أتفق مع الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى هذا ، أى أن مواجهة التراث والقرارات التى تخص التراث لابد وأن تصدر على أرفع مستوى من الدولة ولاتترك مقاليدها للمستويات الإدارية البسيطة ، أو لأهواء بعض العناصر التى لاتتمتع بالوعى التراثى أو لاتتمتع بالوعى بشكل عام .

● **مجموعة الموظفين ؟**

ـ موظفين أو أصحاب مصالح قريبة المدى أو ممن هم يفتقدون ذلك الحس التاريخى والتراثى الرفيع ، فنحن نجد فى الخارج أن القرارات الخاصة بالتراث قرارات سياسية ، مثلاً قرار إنشاء متحف هو قرار صادر من أعلى مستوى سياسى ، قرار تطوير متحف اللوفر صدر عن ميتران شخصياً ، إقرار العملية من الناحية المعمارية وإقرار مفهوم إقامة هرم فى وسط مجموعة مبانى اللوفر وإسناد هذه العملية لمهندس معين وهو «فاى» الأمريكى الصينى الأصل . . أيضاً إنشاء «متحف الدورسيل»

وهو متحف أنشىء حديثاً للسكة الحديد . . كل هذه القرارات تصدر عن قمة الإدارة السياسية؛ وذلك لأن هذه القرارات تتعرض لقضية ستلعب دورها الثقافى والوجدانى فى ضمائر ووجدان الشعب لقرون بعيدة قادمة ويجب ألا تترك للصدفة أو المستويات الأقل، ومن هنا كانت إدارات الآثار والتراث ترتبط بمجلس الوزراء أو رئاسة الجمهورية، ولاتخضع لرؤى سياسية مؤقتة أو توجهات مؤقتة أو مصالح محلية بسيطة أو لأمزجة البعض ، ونحن إذا كنا جادين بالفعل فى قضية مواجهة تراثنا القومى بكل ما يمثله هذا التراث من أهمية بالغة الخطر فى حياتنا الثقافية والسياحية وفى تقدمنا بشكل عام ، أتصور أن نضع قرارات خاصة بحماية هذا التراث مثلنا فى ذلك مثل أى أمة متقدمة .

●●● جواهر مكدسة فى محطات الأتوبيس !

● أستاذ دكتور أحمد قدرى فى هذه القضية أيضاً يقول شيخ المهندسين حسن فتحى : إن مصر تمتلك أندر مجموعة من المساجد فى منطقة القلعة ، وكان المفروض أن نبرزها كالجواهر الكريمة . . إلا أننا نطمس جمالها بتكديس المبانى حولها ومحطات الأتوبيس والزحام ، فما هو تعليقك على هذا الاتهام وكيف تمتد مسئولية الهيئة إلى عملية التنظيم ؟

ـ لو أنت بتواضع شديد ذهبت إلى منطقة السلطان حسن والرفاعى وميدان الرماح والمساجد المحيطة بميدان صلاح الدين الأيوبى ستجد الموقع مختلفاً تماماً ، لقد أحطنا هذه الدرر وهذه الشوامخ ـ والتى تعبر

عن عبقرية الروح الاسلامية المعمارية والفنية أبلغ تعبير ـ بإطار جمالى رفيع وعملية ترميم شاملة واسعة النطاق والتراكمات الموجودة استطعنا أن نصفى معظمها ، تلك التراكمات التى كانت تؤثر بالسلب على التراث ، فنحن إلى جانب العناصر المادية للترميم نضع فى اعتبارنا ضرورة تأثير هذا الترميم على البنية الثقافية للبيئة ، عن طريق تشغيل أبناء هذه البيئة المحيطة وإقامة علاقات صحية تهدف إلى تعريفهم على ما نفعل على وجه التحديد ، كل هذه العلاقات تؤدى فى النهاية إلى التعاطف ونشوء علاقة ودّ وصداقة وتفاهم ، وبذا نكون قد استبدلنا لامبالاتهم بهذا التراث بهذا النوع من الود والتفاهم ، وهذه ـ فى تقديرى ـ هى الخطوة الصحيحة لتصفية مشكلات التشويه ومشكلات السلوك غير المتحضر إزاء هذا التراث ، والتى تسمح فى المستقبل بتصفية المشكلات التى تراكمت على القاهرة عبر مئات السنين الماضية والتى أحاطت آثارنا بمظاهر سلبية .

●●● واختلافنا عن أجدادنا الفراعنة أسباب !

● أستاذ دكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار يتحدثون دائماً عن وحدة تاريخ مصر وأن المنظومة المصرية منظومة متصلة عبر العصور فكيف تفسر ـ فى ظل هذه النظرية ـ اختلافنا عن أسلافنا الفراعنة هذا الاختلاف الواضح ؟

ـ الاختلاف الواضح سببه الاختلاف اللغوى أو الانفصام اللغوى الذى حدث .

● **فقـــط ؟**

ـ بالتأكيد لأن اللغة هى الحضارة ، هى الثقافة ، اللغة هى الوعاء الذى ينطوى على جميع مقوماتنا الحضارية بأنساقها الفكرية والوجدانية والسلوكية والروحية فعندما تتغير اللغة فنحن ننتمى لنطاق حضارى آخر مختلف تماماً .

● **يعنى لو رجعنا نتحدث الهيروغليفية تعتقد . . . .**

أجـــاب بسرعة :

ـ هذا غير متصور ، ولكن إعادة شعورنا بالحضارة القديمة يتم من خلال الوعى ، عندما نبدأ فى التعرف على الحضارة المصرية القديمة ومقوماتنا الحضارية القديمة بحس أكثر دقة ، فسوف نجد أن تلك العلاقة بيننا وبين أجدادنا والتى انفصلت بما تم من انفصال لغوى سيتم استعادتها بشكل معاصر .

● **لكن لو تحدثنا عن مقومات الإنسان نفسه ، الإنسان الذى عاش على أرض هذا الوطن منذ آلاف السنين ، فما هى مقومات هذا الإنسان والتى نفتقدها الآن فى إنسان العصر ؟**

ـ الالتزام ، الشعور بالعدالة أو لنقُل مفاهيم «ماعت» تلك المفاهيم التى كانت تحرك وجدان وفكر الإنسان المصرى القديم ابتداءً من الفرعون إلى أبسط مواطن مصرى ، مفاهيم ماعت ، مفاهيم العدالة ، مفاهيم النظام ، مفاهيم الالتزام وماعت تعنى الصدق ، العدالة ، الالتزام

والنظام . . و«ماعت» هى إلهة ، وهى ابنة الإله رع ، وهى تجسيد لكل هذه المفاهيم فى حياتهم الدينية وحياتهم الروحية.وفى سلوكهم فى حياتهم اليومية . ومن هنا كانت مشاعر الالتزام بالصدق وبالصواب وبالحق وبالعدل والنظام كانت متجذرة أعمق التجذر فى أرضية هذه الحضارة وفى نفوس الإنسان المصرى القديم ، فكان أبشع شىء بالنسبة للمصرى القديم هو الكذب ، وكان عندما يكذب أو يحنث فى يمين تعتبر هذه كبيرة الكبائر يتحتم عليه أن يتطهر بالتقرب والتوسل إلى الآلهة إلى آخره . ، وأنا أتصور أن كل هذه القيم التى كونت القوام الوجدانى والفكرى والروحى للإنسان المصرى القديم تختلف تماماً عن مقومات إنسان هذا العصر مع كل يمر به من ظروف .

● **طيب هذا الكلام عن «ماعت» وفكرة العدالة والسلوكيات الفاضلة عن المصريين القدماء يجعلنى أعتقد أنك تتفق مع د. سيد عويس فى أن فكرة الخلود كانت هى الدافع إلى السلوكيات الفاضلة عند الفراعنة لاعتقادهم فى الثواب والعقاب ، فما هو تفسيرك لابتعاد الكثيرين عن هذه السلوكيات الفاضلة الآن مع وجود الأديان السماوية ؟**

ـ عندما يكون هناك تناقض بين مانقول ومانفعل تحدث كل هذه الظواهر السلبية .

●●● لماذا نقول مالا نفعل ؟

● **هل تقصد أن التركيز على الشكل دون الجوهر والاهتمام بالكلمة دون الفعل هو المسئول عن هذا الفصام ؟**

ـ هذا الفصام راجع إلى أن المقومات الثقافية والحضارية التى من المفروض أن تكون هى المدفق لكل تصرفاتنا لم تتبلور بعد فى شكل واضح فمازلنا مضطربين بين الشرق والغرب . . بين القديم والجديد . . بين الأصالة والمعاصرة . ، هذا التناقض الذى يحقق لنا عدم التوازن فى تقديرنا وحسنا بالأشياء ، كل هذا يخلق الخلل الفكرى والوجدانى ومايسمى بالخلل فى ردود أفعالنا وفى سلوكياتنا وفى توجهاتنا ، ويجعل هناك مكاناً فسيحاً لعدم الصدق مع الذات ، وعدم الجدية وعدم الالتزام ، فأنا فى تقديرى أننا مازلنا مع الأسف الشديد نعيش حياة تخلو من الرؤى المنطقية والترشيد الحقيقى لأسلوب حكمنا على الأشياء رغم ارتفاع نطاق الظواهر التعليمية ، لكن فى حياتنا بشكل عام سواء الإدارية أو الثقافية نحن نعانى ـ إلى حد بعيد ـ من غياب المنطق والأسلوب العلمى ، حتى إننا فى بعض الأحيان نطلق بعض الأحكام التى تتناقض بشكل واضح مع أبسط البديهيات العلمية .

● **ويشترك مع الأستاذ دكتور أحمد قدرى د. مراد وهبه فى هذه الجزئية، فهو يؤكد أن الرواسب الأسطورية مازالت تحكم تفكير الكثيرين فى هذا العصر ، عصر العلم والتكنولوجيا !؟**

ـ للأسف ، ونجد جامعيين مازالت توجهاتهم اليومية وتوجهاتهم الحياتية تتسم بعدم المنطقية وعدم العلمية .

● **وأنت كنت تنادى بأن نأخذ من الفراعنة فكرة العدالة والصدق والمعانى البناءة ولكن الملاحظ أننا أخذنا عنهم الأفكار الاسطورية ،**

وفكرة الأربعين للمتوفى والسبوع . . فقد تركنا القيم الإيجابية وتمسكنا بأساطيرهم فقط ؟

ـ هذه القيم الإيجابية ليست رفاهية إنما هى ضرورة حياة ، والتخلى عنها يؤدى إلى فناء الأمم . وهذه قضية بالغة الأهمية فإن الفناء والهول الأكبر لأى أمة من الأمم يكمن فى تخليها عن قيم الصدق والالتزام والشرف .

● **وتأكيداً لكلام د . أحمد قدرى فإن الباحث حافظ عثمان ينتهى فى دراسته الهامة «فى بعث الأمة المصرية» إلى أن إيجابيات الشعب المصرى تظهر عندما يكون نظامه السياسى والاقتصادى والاجتماعى مختاراً منه ، وطبعاً هذه المقولة تطرح قضية الديمقراطية فى معناها الواسع ، فما هى أقوالك فى هذه القضية ؟**

ـ أنا أقدر للإنسان المصرى دوراً بالغ الأهمية فى المستقبل عندما تنزاح عن رؤاه خواطر التخلف وخواطر التعليم غير الصحيح وتتصوب كل توجهاتنا الثقافية . . عندها سينكشف المعدن الأصيل والجوهر النبيل لهذا الشعب الحامل لعناصر الحضارة فى وجدانه وضميره الجماعى وسيلعب دوراً هاماً فى حضارة الإنسان فى المستقبل ، وفى إثراء عناصر حياتنا بشكل عام ، كون هذا يتم فى إطار سياسى معين فهذه قضية ليست بالمهمة ، المهم أن تتواجد إرادة قومية ، وبالتأكيد أن الحرية بمفهومها الفكرى أهم من الحرية السياسية ، فالحرية إن لم تعبر عن

حرية فكرية ووجدانية فهى حرية مشكوك فيها . . حرية مظهرية لاقيمة لها . . الحرية الحقيقية هى حقيقة أن الإنسان حر بمقوماته الإنسانية الأساسية وأنه يفكر ويتأمل أشياء فى مناخ حر يحترم إنسانيته ويحترم عقله وتوجهاته .

● هذه تطلعاتك لكن ماهى شهادتك على الواقع ، على المسيرة الديمقراطية ؟

ـ الديمقراطية بالاصطلاح السياسى التاريخى تعنى واقعا كـ ان موجوداً فى جذور الحضارة الغربية منذ اليونان والرومان ومظاهره الآن فى الغرب هو تعبير عن حقائق تاريخية فى حياتهم الحضارية ، يعنى اصطلاحات الـ Senator والـ Gereral assembly والـ Assembly كلها اصطلاحات من واقع تاريخى عندهم أخذناها عنهم . ومن هنا نقول الوعى التاريخى بشكل عام ، هو أن نتبنى مفهوماً غربياً ونتفهم مصادره التاريخية ومظاهره الحالية وعلاقة هذه المظاهر بماضيه وجذوره وعلاقة هذا المفهوم بالبلاد التى تتبناه ، وعلينا عند استخدامنا لهذه الأساليب أن نستخدمها من موقع رؤية تاريخية صحيحة لفكرنا وتراثنا وتاريخنا .

● نحن نشكر الأستاذ الدكتور أحمد قدرى على تصحيح خطأ شائع فدائماً مايقال إن الديمقراطية مفهوم حديث وقد أشرت أن للديمقراطية جذورها عند اليونان والرومان ؟

ـ طبعاً ونحن عندما نتحدث عن الديكتاتورية نتعامل معها ككلمة بغيضة وإن كانت كلمة عظيمة لها جذورها فى التاريخ اليونانى ، فالديكتاتورية هى نظام حكم مؤقت يقوم فى حالة تهدد أمة ما بمخاطر بالغة الجسامة ، والديكتاتور مزود بسلطات جنونية تقريباً لمواجهة هذه المخاطر وقد جودنا معنى الكلمة وانطبعت فى ضميرنا ووجداننا بمعنى آخر ، لذا فإنه يتحتم علينا أن نتفهم هذه المصطلحات النابعة من واقع حضارة أخرى وألاّ نستخدمها استخداماً تلقائياً وأتوماتيكياً ، فهذا هو الخطر كل الخطر .

●●● الجيش الوطنى هو الأمل والضمير :

● ليسمح لى دكتور قدرى هنا بملاحظة وهى أننى أشعر الآن بالضابط أحمد قدرى إلى جانب العالم أحمد قدرى أى أننى أشعر فى هذه الجزئية الأخيرة من شهادتك أن دراستك العسكرية وعملك العسكرى كضابط قبل أن تعمل فى المجال الثقافى والآثار واضح هنا ؟

ـ أنا أعتز تمام الاعتزاز بأننى خريج معهد عسكرى مصرى وأقدر أن الجيش دائماً هو الضمير القومى للأمم . فعندما تنهار كل المؤسسات يبقى الجيش ، وهو آخر مؤسسة تحافظ على قوامها الثقافى والتنظيمى ، وتستطيع أن تقوم بدور الإنقاذ . . فالجيش الوطنى الذى يتمتع أفراده بمستوى معين من الوعى الثقافى يمثل الضمير القومى ، لأنه فى حالة التدهور والإظلام يكون الجيش هو الأمل والضمير ، والعلم الذى من

الممكن أن نلتف حوله جميعاً كمواطنين كى نعبر به إلى شواطىء الأمن والاستقرار ، وأنا أتصور أن أى حضارة لم يمتشق أبناؤها السلاح هى حضارة لاقيمة لها ولايمكن أن تعيش ، ومن هنا فإن الجيش يعتبر من الملامح الرئيسية لأى حضارة .

●●● الوطنية والمواطنة :

● بالمناسبة د . أحمد قدرى هل تعتقد أننا فى هذه المرحلة محتاجون إلى إعادة تحديد وتعريف مفهوم الوطنية بحيث يصبح مفهوماً أن المواطنة أكثر من مجرد هوية وأن الوطنية أكثر من مجرد عاطفة ؟

ـ الوطنية مفهوم ثقافى فلا يمكن أن أتخيل وطنية بدون غيرة ثقافية وبدون معلومات وبدون فهم وبدون ارتباط فكرى بالمكان والتاريخ . . ومن هنا كان الوعى التاريخى جزءاً هاماً جداً من الشعور بالوطنية ، فالوطنية ليست كلمة أو شعوراً ينمو بشكل تلقائى ، إنما هى شىء حى أو وجود حى بداخلنا ، يحتاج إلى رعاية وتثقيف وتصويب ، ويحتاج إلى نوع من الاعتدال . . فالوطنية يجب أن تكون قواماً يغلب عليه الفهم أكثر من العاطفة .

● نعم كى لا يقترب من الشوفينية ؟

ـ نعم . . كى لايكون نوعاً من الوطنية الساذجة التى تفتقد الرؤية والعقل اللذين يجب أن نتسلح بهما إزاء ظروف العصر .

●●● شهادة فى سطور :

● فى نهاية هذه الشهادة كيف تصف هذا العصر فى سطر أو سطرين؟

ـ إن المعاناة العظيمة التى تمر بها أمتنا هى التى ستدفق فى المستقبل واقعاً مشرقاً تتوفر فيه عناصر ومقومات الكرامة المادية والثقافية والمعنوية لشعبنا . . وكلما ازدادت مظاهر هذه المعاناة ، وكلما ازدادت آلامنا كلما بدا لى أن المستقبل ـ وان لم يكن فى القريب ـ سوف يقدم للإنسان المصرى فترات من التقدم الحضارى والثقافى ، فترات مجددة من التاريخ المصرى العريق .

obeikandl.com

obeikandl.com